

الفصل الأول

الموت هادم اللذات

الموت هادم اللذات، ومفرق الجماعات، وميتم البنين والبنات.

وقت الموت من الغيب الذي استأثر الله به:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَكْتُبُهَا إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾

(الأنعام: ٥٩)

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤).

حضور الشيطان عند الموت:

✽ قال القرطبي: «سمعت شيخنا الإمام أبا العباس أحمد بن عمر القرطبي يقول: حضرت أخا شيخنا أبي جعفر أحمد بن محمد القرطبي بقرطبة وقد احتضر، وقيل له: قل: لا إله إلا الله، فكان يقول: لا لا، فلما أفاق ذكرنا له ذلك. فقال: أتاني شيطانان عن يميني وعن شمالي، يقول أحدهما مُتْ يهودياً فإنه خير الأديان!

والآخر يقول: «مُتْ نصرانياً فإنه خير الأديان، فكنت أقول لهما: لا لا.....».

✽ ولكن هذا ليس لازماً لكل أحد كما يقول ابن تيمية، بل من الناس من تُعرض عليه الأديان قبل موته، ومنهم من لا تعرض عليه، فقد وقع ذلك لأقوام، وهذا كله من فتنة المحيا والممات التي أمرنا أن نستعيذ منها في صلاتنا.

✽ وقد ذكر الشيخ ابن تيمية أن الشيطان أحرص ما يكون على إغواء الإنسان وقت موته، لأنه وقت الحاجة، واستدل بالحديث الذي في الصحيح «الأعمال بخواتيمها». وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى يكون ما بينه وبينها غير ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإنه ليعمل بعمل أهل النار، حتى

يكون ما بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»^(١).
ولهذا روى: «أن الشيطان أشد ما يكون على ابن آدم حين الموت، يقول لأعوانه: دونكم هذا فإنه إن فاتكم لن تظفروا به أبداً».

ملك الموت:

من اعتقاد أهل السنة والجماعة إيمانهم بملك الموت الذي هو متولي قبض الأرواح. ولم يرد التصريح باسمه في الأحاديث الصحيحة، وإنما وردت تسميته بعزرائيل في بعض الإسرائيليات.

قال ابن بطة: «الإيمان بملك الموت عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه يقبض الأرواح، ثم ترد في الأجساد في القبور، وهو يتصف بصفات من القدرة والسلطان، وعظم الخلق، وغيرها من الصفات التي جعلته قادراً على قبض أرواح كثيرة في أماكن مختلفة بعيدة الأطراف في لحظة واحدة».

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَوْفُوكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَكُمْ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (النِّجْمَةُ: ١١).

قال ابن عباس: «خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب».

وصح عن مجاهد أنه قال عن ملك الموت: «طويت له الأرض، فجعلت له مثل الطست، يتناول منها حيث يشاء».

حقيقة الموت:

فبما أن الحياة هي اتصال الروح بالجسد، إذن فالموت هو انفصال الروح عن الجسد ونهاية الحياة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ (الْحَجَّةُ: ٨).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّكَ الرَّجْعُ﴾ (الْعَلَقُ: ٨).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَلَمْلَقِيهِ﴾ (الْأَشْقَاقُ: ٦).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

(الْإِنْفِرَاتُ: ٣٤)

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (قَت: ١٩).

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود.

(٢) صحيح: رواه ابن حبان عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٧٧٢).

❖ ويقول الشافعي:

مضى الدهر والذنوب حاصلُ وجاء ملك الموت والقلب غافلُ
نعيمك في الدنيا غرورٌ وحسرة وعيشك فيها محال وباطلُ

❖ وقال:

وقال: من واجب الناس أن يتوبوا ولكن ترك المعاصي أوجب

❖ وقال:

وقال: الدهر في صرفه عجيبُ ولكن غفلة الناس عنه أعجب



الفصل الثاني

القبر

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ (عَبَسَ: ٢١).

عَلَّمَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَسْتَعِيزَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فِي حَدِيثِهِ ﷺ
وَالَّذِي رَوَاهُ عَنْهُ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَعْلَمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يَعْلَمُهُمُ السُّورَةُ مِنَ
الْقُرْآنِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ
فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»^(١).

وَفِي «صَحِيحِ أَبِي حَاتِمِ الْبُسْتِيِّ» عَنْ أُمِّ مَيْمُونَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ وَأَنَا فِي حَائِطٍ وَهُوَ يَقُولُ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ!
لِلْقَبْرِ عَذَابٌ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُمْ لَيُعَذِّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ».

النَّفْسُ تَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمَتْ أَنْ السَّلَامَةَ فِيهَا تَرُكُ مَا فِيهَا
لَا دَارَ لِلْمَرءِ بَعْدَ الْمَوْتِ يَسْكُنُهَا إِلَّا الَّتِي كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ بَانِيهَا
فَإِنْ بَنَاهَا بِخَيْرٍ طَابَ مَسْكَنُهَا وَإِنْ بَنَاهَا بِشَرٍّ خَابَ بَانِيهَا

صفة القبر:

عَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «أُحْدِلَ لَهُ الْحُذُّ، وَنُصِبَ عَلَيْهِ اللَّبَنُ نَصَبًا...» وَذَكَرَ
الْحَدِيثَ قَالَ: «رُفِعَ قَبْرُهُ مِنَ الْأَرْضِ نَحْوًا مِنْ شِبْرٍ»^(٢).

ذَهَبَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ إِلَى اسْتِحْبَابِ رَفْعِ الْقَبْرِ عَنِ الْأَرْضِ نَحْوَ شِبْرٍ، حَتَّى يُمَيِّزَ وَلَا
يَهَانَ، وَهَكَذَا نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ وَالْأَصْحَابُ.

وَيَسْتَحَبُّ إِعْمَاقُ الْقَبْرِ وَتَوْسِيعُهُ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «احْفَرُوا وَأَوْسِعُوا
وَأَعْمِقُوا وَأَحْسِنُوا...»^(٣).

(١) صحيح: رواه مسلم عن ابن عباس.

(٢) حسن: رواه البيهقي عن جابر، وحسنه الألباني في أحكام الجنائز.

(٣) صحيح: صححه الألباني في إرواء الغليل، وهو عند أبي داود بلفظ آخر (٧٤٣).

استحباب إدخال الميت قبر، من جهة رجليه:

عن أبي إسحاق قال: أوصى الحارث أن يصلي عليه عبد الله بن يزيد، فصلى عليه، ثم أدخله القبر من قبل رجليه، وقال: «هذا من السنة»، وهذا مذهب الشافعي وأحمد وغيرهما، واستحباب كثير من أهل العلم.

ما يقال عند إدخال الميت القبر وكيفية وضعه:

عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إِذَا وَضَعْتُمْ مَوْتَاكُمْ فِي الْقُبُورِ فَقُولُوا بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (١).

يستحب لمن على القبر أن يحثي على الميت ثلاث حثيات تراب بعد سد اللحد، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ ثُمَّ أَتَى قَبْرَ الْمَيِّتِ فَحَثَّى عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ ثَلَاثًا» (٢).

مسألة: هل يجوز تعليم القبر بحجر أو نحوه؟

عن المطلب قال: «لما مات عثمان بن مظعون أخرج بجنازته فدفن، فأمر النبي ﷺ رجلاً أن يأتيه بحجر، فلم يستطع حمله، فقام إليه رسول الله ﷺ وحسر عن ذراعيه.... ثم حملها فوضعها عند رأسه، وقال: «أَتَعْلَمُ بِهَا قَبْرَ أَخِي، وَأَدْفِنُ إِلَيْهِ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي»» (٣).

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ» (٤).

وقال رسول الله ﷺ: «وَاللَّهُ مَا رَأَيْتُ مَنَظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ» (٥). عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ أبصر بجماعة، فقال: «علام اجتمع هؤلاء؟» قيل: على قبر يحفرونه، قال: ففزع رسول الله ﷺ، فبدر بين

(١) صحيح: رواه أحمد عن ابن عمرو، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٣٢).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١٥٦٥).

(٣) حسن: رواه أبو داود عن المطلب، وحسنه الألباني في «صحيح أبو داود» (٣٢٠٦).

(٤) حسن: رواه الترمذي عن عثمان، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٨٤).

(٥) حسن: رواه الترمذي عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٣٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «استحيوا من الله حق الحياء». قال: قلنا: يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله. قال: «ليس ذاك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك استحيا من الله حق الحياء» ^(٢).

وروى ابن أبي الدنيا، أن محمد بن واسع دخل على بلال بن أبي بردة، يسأله عن القدر، فقال له: جيرانك من أهل القبور، فكَّر فيهم، فإن فيهم شغلاً عن القدر.

وعنه رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الْقَبْرَ لِيَكِي، يَقُولُ فِي بَكَائِهِ: أُنَا بَيْتُ الْوَحْشَةِ، أُنَا بَيْتُ الْوَحْدَةِ، أُنَا بَيْتُ الدُّودِ».

«يا غافلاً عن نفسه! أمرك عجيب، يا قتيل الهوى! داؤك غريب، يا طويل الأمل! ستدعى فتجيب، وهذا عن قليل، وكل آت قريب، هلا تذكرت لحدك، كيف تبيت وحدك، ويباشر الثرى خدك، وتقتسم الديدان جلدك، ويضحك المحب بعدك، ناسياً عنه بُعدك؟! والأهل مذ وجدوا المال ما وجدوا فقدك، إلى متى ترك رشدك؟! أما تحسن أن تحسن قصدك؟! الأمر جد مجد، فلازم جدك.

ذهب الأحبةُ بعد طول تودد
خذلوك أفقر ما تكون لغربةِ
مضى القضاءُ وصرتَ صاحبَ حُفرةِ

ونأى المزار فأسلموك وأقشعوا
لم يؤنسوك وكُربَةً لم يبدفعا
عنك الأحبةُ أعرضوا وتصدَّعوا

ضمّة القبر:

ضممة القبر لا ينجو منها أحد، صالحًا كان أو عاصيًا، صغيرًا كان أو كبيرًا، وضممة القبر هذه غير عذاب القبر.

(١) حسن: رواه أحمد عن البراء بن عازب، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٧٥١).

(٢) حسن: رواه الترمذی عن عبد الله بن مسعود، وحسنه الألبانی فی «صحيح الترمذی» (٢٤٥٨).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٧٧).

عن سعد بن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، لقد ضَمَّ ضَمَّةً ثم فُرِّجَ عنه»^(١)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن للقبر ضغطة، ولو كان أحد ناجياً منها لنجا سعد منها»^(٢).

فتنة القبر وسؤال الملكين:

فتنة القبر وسؤال الملكين ثابت، وأخباره متواترة لا ينكرها إلا زنديق مارق يقدم العقل على النقل، ويطعن في الثابت من دين الله عزَّ وجلَّ.

وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، وهي عظيمة في هولها وخطرها، تقرب من فتنة الدجال أعظم فتنة.

وفي حديث أساء بنت أبي بكر قول رسولنا صلى الله عليه وسلم: «.... قَدْ أُوحِيَ إِلَى أَنْكُم تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا أَوْ مِثْلَ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ....»^(٣).

بأبي وأمي رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ حَدَّثَ أُمَّتَهُ وَبَيْنَ لَهَا مَا تَحْتَاجُهُ حَتَّى لَوْنُ الْمَلَكَيْنِ، وَلَوْنُ عَيُونِهِمَا وَاسْمِيهِمَا.

«أناه ملكان أسودان، أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر والآخر النكير».

أزرقان أي: لون عيونهما.

يجلس المؤمن الصالح في قبره غير فزع قبل السؤال، أما الرجل السوء فإنه يجلس في قبره فزعاً مشغوقاً، قَالَ الْعَلَاءِيُّ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (البقرة: ٢٧).

عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ».

فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٤).

(١) صحيح: رواه النسائي عن ابن عمرو، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٩٨٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد عن عائشة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢١٨٠).

(٣) صحيح: رواه البخاري ومسلم عن أساء.

(٤) صحيح: رواه البخاري عن البراء بن عازب.



عن طائوس: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال: لا إله إلا الله. ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ المسألة في القبر.

وقال قتادة: أما الحياة فيشبههم بالخير والعمل الصالح، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾، في القبر. وانظر بربك إلى هذا الأثر الطيب في رد عقول الصالحين عليهم في القبر وجواب عمر رضي الله عنه الجميل.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتان القبر، فقال عمر: أترد علينا عقولنا يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم كهيتك اليوم»، فقال عمر رضي الله عنه بفيه الحجر ^(١).

ومعنى بفيه الحجر: أي بضم الملك الحجر. قالها عمر بن الخطاب رضي الله عنه حسن ظنه بربه على ما سيكون عنده من حسن الجواب.

والحمد لله أن هذا الحديث حسن، ويا خالق عمر سبحانك... هذا عمر الإسلام... وهو من الدين السمع والبصر - هو والصدق.

يا طيب كرامة المؤمن في قبره حين ينادي منادٍ في السؤال عند سؤاله: «أن صدق عبدي». ويا طيب شوقه حين يقول الملكان: قد كنا نعلم أنك تقول كما جاء في حديث أبي هريرة، وعنه أيضًا يقال له: «صدقت، على هذا عشت، وعليه مت، وعليه تبعث»، أو «على ذلك حييت، وعلى ذلك مت، وعليه تبعث إن شاء الله».

وأما الكافر أو المنافق: فيقال له حين يقول: لا أدري، فيقال له: «لا دريت ولا تلوت، على الشك كنت، وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله، ثم ينادي منادٍ من السماء: أن كذب عبدي».

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل صالحًا قيل: اخرجي أيتها النفس الطيبة، كانت في جسد طيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان. قال: فيقولون ذلك حتى تخرج، فإذا خرجت عرجت إلى السماء فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فيقال لها كذلك، حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله عز وجل» ^(٢).

(١) حسن: رواه أحمد عن عبد الله بن عمر، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٥٣)

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٦٨).

ومن كرامة المؤمن في قبره:

- ✽ التنوير له في قبره.
- ✽ الفسح له في قبره.
- ✽ نوم المؤمن في قبره أطيب نومة.
- ✽ شوقه لتبشير أهله.

«ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك».

قال ﷺ «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ آتَاهُ مَلَكٌ فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَإِنْ اللَّهُ هَذَا قَالَ: كُنْتُ أَعْبُدُ اللَّهَ، فَيَقَالَ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَمَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ غَيْرِهَا، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى بَيْتٍ كَانَ لَهُ فِي النَّارِ؛ فَيَقَالَ لَهُ: هَذَا بَيْتُكَ كَانَ لَكَ فِي النَّارِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَصَمَكَ وَرَحِمَكَ فَأَبْدَلَكَ بِهِ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: دَعَوْنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأُبَشِّرَ أَهْلِي. فَيَقَالَ لَهُ: اسْكُنْ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ آتَاهُ مَلَكٌ فَيَنْتَهَرُهُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيَقَالَ لَهُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، فَيَقَالَ لَهُ: فَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَضْرِبُهُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا الْخَلْقُ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ» (١).

ويصور هذه الكرامة أبلغ تصوير شوق الصحابة في البرزخ، ممن استشهدوا في سبيل الله تعالى، لإخبار من لم يميت من إخوانهم بالكرامة المعدة للشهداء.

ومن نعيم القبر للمؤمن أن أعماله الصالحة تمثل له وتزود عنه وتؤنس في قبره.

مر في حديث البراء: «يمثل له رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، أبشر برضوان من الله، وجنة فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول له وأنت فبشرك الله بخير، من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح...».

(١) صحيح: رواه أبو داود عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٣٠).

الْقِصَّةُ الثَّالِثَةُ

وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

يا أيها المسلمون تنافسوا في الدين ولا تتنافسوا في الدنيا، كما قال علي بن أبي طالب: «من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فالفها في نحره» حتى نكسب الآخرة لأن متاع الدنيا قليل كما قال الله تعالى.

✽ ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه الطويل عن النبي صلى الله عليه وسلم: «وإنه لعلّ حَصِيرٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ وَسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ حَشَوْهَا لَيْفٌ، وَإِنْ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَرِظًا مَضْبُوبًا، وَعِنْدَ رَأْسِهِ أَهْبٌ مُعَلَّقَةٌ، فَرَأَيْتُ أَثَرَ الْحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكَ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ كِسْرَى وَقِصْرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ»^(١).

قف مع نفسك وقفة وقل بأعلى صوت:

يا نفس كَفَى مَا كَانَ مِنْ زَلَلٍ	فيما مضى واجهدي في صالح العمل
وعن هواك اعدلي ثم اعدلي وعظي	بمن مضى واغنمي طاعات واعتدلي
ولا تغرَّنك الدنيا وزينتها	فإنها شرك الأكدار والعلل
ما أضحكت يومها إلا وفي غدها	أبكت فكوني بها منها على وجل
فتلك دارٌ غرورٍ لا بقاء لها	ولا دوام لـدانيها على أمل
أين القرون التي كانت بها سلفت	كأنها لم تكن في الأعصر الأول
فلازمي كل ما لله فيه رضا	واستمسكي بالتقى في القول والعمل
فمن أطاع سعيد عند خالقه	في جنّة الخلد في حلى وفي حال

جلس صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال: «إن عبداً خيره الله بين أن يؤتیه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختر ما عنده» فبكى أبو بكر، وقال: فدَيْنَاكَ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فعجبنا له،

(١) صحيح: رواه البخاري عن عمر بن الخطاب.

ها هو حبيبك المصطفى يترك الدنيا بزيبتها وقصورها، ليكون في رفقة الرحمن الرحيم،
الذي هو أرحم بعباده من الأم بولدها.

سُئِلَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: «مَالَنَا نَحِبُ الدُّنْيَا وَنَكْرَهُ الْآخِرَةَ؟» قَالَ: «لَأَنْكُمْ عَمَرْتُمْ دُنْيَاكُمْ وَخَرِبْتُمْ آخِرَاكُمْ». أَتُحِبُّونَ أَنْ تَذْهَبُوا مِنَ الْعِمَارَةِ إِلَى الْخَرَابِ، وَلَكِنْ إِذَا أَحْبَبْنَا الْآخِرَةَ وَعَمَرْنَا الْآخِرَةَ بِالذِّكْرِ وَالْقُرْآنِ وَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَبِحَسَنِ الْخُلُقِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، فَسَوْفَ نَشْتَقِ إِلَى رُؤْيَةِ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ، وَكَلِمَا اسْتَقْنَا تَرْكْنَا الشَّهَوَاتِ، وَكَلِمَا تَرْكْنَا الشَّهَوَاتِ كَرِهْنَا الدُّنْيَا وَأَقْبَلْنَا عَلَى الْآخِرَةِ، فَلَا تُضَيِّعُوا لِحِظَةً إِلَّا فِي ذِكْرِ اللَّهِ.

أيها الأحبة في الله: أوصيكم وأوصي نفسي أن تنظروا إلى هذا الحديث، وأن تعملوا به، حتى يكون أسعد أيامنا يوم أن نلقاه، وانظروا إلى قول الحسن البصري يقول: «ما من يوم إلا وينادي: أنا يوم جديد عليك يا ابن آدم شهيد، اغنمني يا ابن آدم فإني لا أعود».

فوجب عليكم أن تغتنموا خمسًا قبل خمس، كما أوصى النبي ﷺ، فقال: «اغْتَنِمِ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغَنَّاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ» (٣).

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد واللفظ لمسلم.

(٢) صحيح: رواه الترمذي عن أبي برزة الأسلمي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٩٢).

(٣) صحيح: رواه الحاكم عن ابن عباس، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٥٥).

هل تعلم أنك لو قلت: «سبحان الله» تملأ ما بين السماء والأرض، ولو قلت «الحمد لله» تملأ الميزان كما قال الحبيب المصطفى ﷺ، ففي الدقيقة الواحدة أستطيع أن أقول: «سبحان الله» ستين مرة كذلك «الحمد لله» ستين مرة، فكيف لا أغتنم كل دقيقة لها من الأجر والثواب العظيم الذي أعده الله عزَّ وجلَّ لنا، فلا تضيعوا أجركم وأوقاتكم، واعلموا أن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها كما قال ﷺ: «أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ، وَعَالَمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ»^(١).

بعد هذا الحديث عن الدنيا، يا ترى هل أنت من أهل الدنيا، أم من أهل الآخرة؟ جاء رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال: يا علي هل أنا من أهل الدنيا، أم من أهل الآخرة؟ فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إذا جاءك رجل بهدية، ورجل جاء يطلب منك عطية بمن تفرح؟ إذا فرحت بمن جاء لك بالهدية فأنت من أهل الدنيا، وإذا فرحت بمن جاء يطلب منك عطية فأنت من أهل الآخرة».

ويا من يفرح بالدنيا وينسى الآخرة انظر إلى هذا المثل: دخل إمام إلى بيت الله فوجد أناساً يلتفون حول أمير من الأمراء، فانصرف أغلب الناس عن الأمير، والتفوا حول الإمام، فسأل الأمير، فقالوا: إنه إمام وعالم، فذهب إليه الأمير، فقال: يا إمام أتريد شيئاً؟ لو أردت شيئاً تعال لي في القصر، وسوف أعطيك ما تريد، فرد الإمام بخشوع وهو يقول: إذا كنت لم أطلب الدنيا ممن يملكها، فكيف أطلبها ممن لا يملكها.

لو تأملنا في هذا القول سنجد أن الإمام تعلق قلبه بالآخرة وليس بالدنيا التي تغر الناس، فمن أحب الدنيا أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فأثروا ما يبقى على ما يفنى.

قال عون بن عبد الله: «الدنيا والآخرة في القلب ككفتي الميزان، لا ترجح إحداها حتى تخف الأخرى».

وقال وهب: «إنما الدنيا والآخرة كرجل له امرأتان، إذا أرضى إحداها أسخط الأخرى».

يقول الله عزَّ وجلَّ في حديثه القدسي: «لا أجمع على عبدي أمتين ولا خوفين، من خافني

(١) صحيح: رواه الترمذي عن أبي هريرة وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٠٩).

في الدنيا أَمَنَّتْه في الآخرة، ومن أَمَنني في الدُّنيا أَحَقَّتْه في الآخرة».

فيا إخواني في الله اعبدوا الله مع الخوف والرجاء، خافوا من عقابه وارجوا رحمته، وازهدوا في الدنيا حتى يحبكم الله، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما جاءه رجل فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبنى الناس، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارْزُهِدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَارْزُهِدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»^(١).

وانظر في الدنيا إلى من هو أقل منك، وانظر في الدين إلى من هو أعلى منك، كما قال الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألْقها في نحره».



(١) حسن: رواه البيهقي عن سهل بن سعد، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣٢).

الْفَضِيلُ الرَّابِعُ

فضل الجوع والمرض والموت

فضل الأمراض والمصائب ونحوها:

إن الأمراض والمصائب ونحوها ابتلاء قد قدره الله على هذه الأمة.
قال صاحب كتاب: (كشف الكربة عند فقد الأحبة): لقد جعل الله الابتلاء سنة ربانية ليختبر به عباده، وليقيم الحجة عليهم بما يبدو منهم، وهو - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أعلم بهم قبل كونه.

﴿قَالَ الْعَالِي: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾﴾

(الْإِنشَاء: ٢)

وقال ابن القيم: إن ابتلاء المؤمن كالدواء له، يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته أو نقصت ثوابه، وأنزلت درجته، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء، ويستعد به لتمام الأجر وعلو المنزلة، ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه.

﴿كما قال النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَقْضِي اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»﴾. فهذا الابتلاء والامتحان من تمام نصره وعزه وعافيته، ولهذا كان أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأقرب إليهم فالأقرب، يُبتلى المرء حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة شدد عليه البلاء، وإن كان في دينه رقة خفف عنه، ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على وجه الأرض وليس عليه خطيئة.

﴿وقال أبو السعود: والمقصود الأصلي من الابتلاء هو ظهور كمال إحسان المحسنين، مع تحقق أصل الإيثار والطاعة في الباقيين.﴾

﴿وقال أحد السلف: الناس ما داموا في عافية فهم مستترون، فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم، فصار المؤمن إلى إيمانه، وصار المنافق إلى نفاقه.﴾

﴿وقال أهل العلم: والابتلاء يكون بتحمل المكاره والمشاق لاستخراج ما عند المبتلى من الطاعة والمعصية.﴾

(٤) صحيح: رواه مسلم عن أبي هريرة.

(٥) صحيح: رواه الطبراني عن واثلة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣١٦).

ثانياً - اداء الحقوق:

✽ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، مَنْ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ»^(١).

✽ وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اتَّذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فُتِنَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(٢).

ثالثاً - النهي عن تمني الموت:

قال النبي ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِيُضْرَّ نَزْلُ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنَّيًّا لِلْمَوْتِ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي»^(٣).

✽ وقال ﷺ: «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا، وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ فَسَدَّدُوا وَقَارِبُوا، وَلَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزِدَّادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتَبَ»^(٤).

✽ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

(الْعَمَل: ١٠٢)

فاللهم أحيينا بالإسلام وأمتنا على الإسلام.

فوائد ذكر الموت:

✽ عن ابن عمر قال: كنت مع رسول الله ﷺ، فجاءه رجل من الأنصار، فسلم على النبي ﷺ، ثم قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَحْسَنُهُمْ

(١) صحيح: رواه البخاري عن أبي هريرة.

(٢) صحيح: رواه البخاري عن أبي هريرة.

(٣) صحيح: رواه البخاري ومسلم عن أنس، واللفظ للبخاري.

(٤) صحيح: رواه البخاري عن أبي هريرة، والحديث عند مسلم بلفظ آخر عن عائشة.

خُلِقًا» قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْبَسُ؟ قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أَوْلَيْكَ الْأَكْبَاسُ»^(١).

ولذكر الموت فوائد:

- ١- أنه يحث على الاستعداد للموت قبل نزوله.
- ٢- أنه يهون على العبد مصائب الدنيا.
- ٣- أنه يحث على التوبة واستدراك ما فات.
- ٤- أنه يرقق القلوب، ويدمع الأعين، ويجلب باعث الدين، ويطرد باعث الهوى.
- ٥- أنه يدعو إلى مسامحة الإخوان وقبول أعذارهم.
- ٦- أنه يرغب في الآخرة فنزداد في الطاعات.
- ٧- أنه يزهك في الدنيا، وترضى بقليل القليل حتى تستعد للرحيل.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَأَنْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وَكَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُوْدٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَحْيِيءُ مَلِكَ الْمَوْتِ عَلِيِّ بْنِ السَّاهِرِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَتَيْتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ أَخْرَجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبِ نَفْحَةٍ مَسْكٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ - يَعْنِي بِهَا - عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ ابْنُ فُلَانٍ - بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا - حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيَشِيعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيْنِ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتَهُمْ وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أَخْرَجْتُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، قَالَ: فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟

(١) حسن: رواه ابن ماجه عن ابن عمر، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٣٥).

فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَقْتُ، فَيَنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيِّهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوَعِّدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ فَوْجُهِكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي، قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَحَطٍ مِنَ اللَّهِ وَعَظْبٍ، قَالَ: فَتَفَرَّقَ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعَ عَنْهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جَفِيفَةٍ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ - بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا - حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينَ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتَطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُتِنُّ الرِّيحِ، فَيَقُولُ أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوَعِّدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوْجُهِكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالِشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثِ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»^(١).

(١) صحيح: رواه أحمد عن البراء بن عازب، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٧٦).